مفهوم المواطنة في الإسلام

The concept of citizenship in Islam

د.عمر سدي
المركز الجامعي تامنغست seddiomar@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020-08-19 **تاريخ القبول: 2020-08-29** **تاريخ النشر: 2020-09-15**

ملخص:

نظرة الإسلام إلى المواطنة نظرة خاصة من خلال تحديد مفهومها بصفة غير مباشرة في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية التي تكرس مفهم المواطنة وفي السنة النبوية من خلال السيرة النبوية المتمثلة في العديد من المواقف إلى تدعم مفهوم المواطنة . وتقوم المواطنة في الإسلام على أسس عامة هي المساواة و العدل و الحرية

الكلمات الدالة: المواطنة.، الإسلام.، أساس المواطنة.،.

Abstract:

Islam's view of citizenship is a special view by defining its concept indirectly in the Noble Qur'an in many Qur'anic verses that consecrate the concept of citizenship and in the Prophet's Sunnah through the Prophet's biography represented in many positions to support the concept of citizenship. Citizenship in Islam is based on general principles, namely equality, justice and freedom.

Keywords: Citizenship; Islam; the basis of citizenship;.

المؤلّف المرسل: عمر سيدي البريد الإلكتروني:seddiomar@gmail.com

1. مقدمة

يمثل موضوع المواطنة جزءا من مشكلة الهوية والمفاهيم المختلفة التي ارتبطت بها منذ بدء احتكاكنا الفكري والثقافي والسياسي والعسكري بالغرب في القرن الماضي ، وإذا كانت المسألة قد حسمت على صعيد الواقع منذ أن تمزقت الدولة العثمانية وتحولت أشلاؤها العربية وغيرها إلى دول وحكومات قومية وإقليمية، فإن المسألة لم تنته على المستوى الفكري والثقافي ، بل ظلت سؤالا كبيرا يطرح بشكل أو بآخر [1].

وما من شك في أن الأقطار العربية، في أمس الحاجة إلى تعزيز فكرة ومفهوم المواطنة في ظل الأحداث الخطيرة التي تتعرض لها والتي أكدت بدورها على ضرورة تكريس روح العطاء والانتماء والولاء الصادق لدى المواطن ، بحيث يدرك أنه جزء من مجتمعه وأمته غير منفصل عنها، وأفضل وسيلة لتعزيز روح المواطنة في المجتمع العربي هو اللجوء إلى الإسلام باعتبار أن أغلبية الدول العربية تدين بدين الإسلام.

أن شريعة الإسلام شاملة لجميع أبعاد الحياة البشرية بكل دقائقها وتفصيلاتها ابتداء من سلوك الإنسان حتى تنظيم علاقات الدول والمجتمعات الكبرى بما في ذلك الفهم الإسلامي للمضمون السياسي الذي يعني أخذ الناس إلى الصلاح وأبعادهم عن الفساد. والصلاح هنا جميع وجوه الخير من عدالة ومساواة وحرية وفعالية وشهادة على العالمين.

أن خطاب الإسلام خطاب عاما لبني الإنسان في تأكيد واضح للحقوق والقيم التي تنظم الحياة البشرية وتقنين مسلكها ومنها المساواة التي تعد منطلقا أساسيا وقاعدة شرطة لممارسة الحقوق واستقامتها والالتزام بكل الواجبات.

لذلك نطرح التساؤل التالي

هل تتوافق المواطنة كمفهوم عام مع الإسلامي و تنسجم مع مبادئه أو تتعارض؟

[1]- د. محمد خليل أبو دف ،" تربية المواطنة من المنظور الاسلامي "، مقال منشور على الموقع : www.pdffactory.com ، 2004، ص 2

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الإسلام في تكريس روح المواطنة في المجتمعات الإسلامية ، وفي تحقيق الوحدة بين أفراد الشعوب.

سوف نحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال المباحث التالية:المبحث الأول المواطنة في الخطاب الإسلامي ، المبحث الثاني : أسس المواطنة في الإسلام .

2. المواطنة في الخطاب الإسلامي

المواطنة هي تمتع الشخص بحقوق والتزامه بواجبات ، وممارستها في بقعة جغرافية معينة.

حب الوطن شعور فطري، لم ينكره الإسلام وقد روي أن عبد الله بن أم مكتوم قال وهو آخذ بخطام ناقة الرسول صل الله عليه وسلم على الفتح " يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي و عوادي ، أرض بها تغرس أوتادي أرضٌ أمشي بها بلادي.

وعبر عن حب الوطن و الارتباط به ، قوله صل الله عليه وسلم لما هم بالخروج من مكة (ما أطيبك من بلد و أحبك إلى و لولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك"[2]

مما يدلل على الارتباط الشعوري بالوطن و أهميته بالنسبة للإنسان، أن الإسلام اعتبر إخراج الإنسان من دياره معادل للقتل {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[3].

سوف نتعرض إلى مفهوم المواطنة في الإسلام حسب النقاط التالية:

2. 1. المواطنة في القرآن الكريم

أن مفردة المواطنة لم توجد في القرآن الكريم و هذا طبيعي جدا لأنه كتاب عام الألفاظ ومجمل المعاني وليس كتاب مفصل، حيث يضع فقط الملامح العامة والمبادئ الكلية، التي يمكن التأسيس عليها والبناء عليها.

[2]- د. محمد خليل أبو دف ،" تربية المواطنة من المنظور الاسلامي "، مقال منشور على الموقع : www.pdffactory.com ، 2004 ، ص 23.
[3]- سورة النساء الآية 66.

من خلال دراسة القرآن الكريم نجد أن مصدر الحقوق والواجبات في الإسلام هو الله وحده، وليس بشرا أيا كان نبيا أو غير نبي وهذا ما يتأكد لنا من خلال قول الله تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }[4].

وبذلك يقوم الإسلام في مجال الحقوق والواجبات على أساس وحدة المشرع وأبدية التشريع إذ أن من المسلم به أن حق التشريع موحد بين يدي الله عز وجل في الوقت الذي تتعدد وتتباين منابع التشريع الغربي ويكثر مشرعو القوانين الغربية.

وليس من شك أن وحدة المصدر الإلهي التشريعي هو السر القائم وراء خلود الأحكام الشرعية و صلاحيتها المطلقة للتطبيق قي كل زمان و مكان، ويعد التبديل والتغيير آفة التشريعات والقوانين الوضعية المتغيرة دائما والتي تتبدل فيها أوضاع ومراكز و حقوق المخاطبين بها دونما استقرار أو ثبات[5].

إن هذا البعد العقائدي للحقوق والواجبات في الإسلام يعد ضمانه وحماية لها، وذلك من خلال إلزام المؤمن بالله أن يطالب بحقه ويجاهد بشتى الطرق لأجل الحصول على حقه، وإلا كان آثما وظالما لنفسه، فالله مقرر الحقوق ومقرر أن عدم النضال لأجلها إثم وذلك للأسباب التالية:

أ– لأن الله في القرآن ابرز الإنسان / المواطن دون تفرقة بين جنس وجنس، ورجل و امرأة ... الخ باعتبار الإنسان المخلوق الذي كرمه الله في الأرض، ونص القرآن الكريم على كرامة الإنسان، وأن الله قد سخر له قوى الطبيعة ليعمر الأرض[6].

ب– لان الله ما أنزل القرآن إلا وسيلة لهداية الإنسان وتعريفه بحقوقه وتبيان واجباته، ولذا قرر الله تعالى في كتابه الكريم، أن الإنسان خط احمر مقدس عقله ودمه واختياراته، ولا يجوز إكراهه حتى على الإيمان بالله ذاته.

---

[4]- سورة الحديد الآية 25

[5]- د. عثمان بن صالح العامر ،" المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي"، مجلة جامعة دمشق ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول ،2003 ، ص 240.

[6]- جمال البنا " الإسلام كما تقدمه دعوة الاحياء الإسلامي" ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ، ص 129.

جـ– لأن صدور الحق، من الله الحق، وبالتالي فالحق الإنسان له حصانة ضد الانتهاك وحصانته يستمدها من مصدر حقه وهو الله، ولذلك فإن الدولة التي تحكم بسم الإسلام عندما تنتهك حقوق الإنسان إنما تنتهك حق الله.

د– لأن الله عمق الإيمان في قرآنه بكرامة الإنسان، من حيث أنه أعطى الإنسان أمور لم تعط لأحد من مخلوقاته (الروح و العقل و العلم)، وجعلها ثابتة فيه، حيث أنه نفخ في الإنسان روحه، وأعطاه العقل، وجعله مرجعا أوليا لإعماله حتى في كتابه الكريم[7]، وعلمه{ الأسماء كلها}.

هـ– لأن الله تعالى في كتابه الكريم اقر بأن الذين يفرطون في حقوقهم، وهم قادرون على المطالبة بها، هم من الظالمين أنفسهم الذين قبلوا العبودية و رضوا بالاستضعاف، بل وعدهم بالنار، إذ يقول الله تعالى في كتابه الكريم { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[8]

و– لأن الله ما بعث الرسل، إلا لمحاربة الاستبداد والظلم و اجتناب الاستبداد، { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[9].

ي– وكما أن الله تعالى في كتابه العزيز مقرر الحقوق فهو مقرر الواجبات سواء كانت أسرية{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[10]، أو سياسية.{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }[11]، أو قضائية { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[12] .

2. 2. المواطنة في السنة

[7]- جمال البنا، " مرجع سابق " ، ص 131.
[8]- سورة النساء الآية 97.
[9]- سورة النحل الآية 36.
[10]- سورة البقرة الآية 228.
[11]- سورة آل عمران الآية 159 .
[12]- سورة النساء الآية 58.

تشكل السنة مصدرا ثانيا للمواطنة في الإسلام، و هي تعتبر مصدر مفسر وموضح لما جاء في القرآن الكريم من أحكام وقد بينة السنة النبوية الشريفة مجموعة من الحقوق والواجبات للإنسان بشكل عام من بينها:

أ– الحق في الحياة

إذا كان القرآن قد وجه النبي صلى الله عليه و سلم، وأتباعه إلى تقدير قيمة الحياة للإنسان كفرد ، فإن النبي صل الله عليه وسلم أكد في تطبيقاته وأحاديثه على وجوب الحفاظ على حياة الإنسان ، كونها أمانة وهبها الله له وأنعم بها عليه، وعليه فليس للإنسان أيا كان حق التنازل عنها، وليس حرا في هدر حياته أو إلغاءها، وعلى هذا حذر النبي صل الله عليه وسلم تحذيرا بالغ الشدة، وإنذار ببيان بالغ القسوة، للذين تبلغ بهم هموم الحياة مبلغ اليأس منها (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه)، (لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله يستعتب)[13]

ب– تكريم الإنسان واستقلالية كيانه

الإنسان لم يخلق ليأكل، بل يأكل ليعيش، وكل طيبات الحياة الدنيا مسخرة له، وعليه أن يسعى لاستثمار هذه الطيبات، محققا فيها ذاته ومسيطرا عليها مكانته وقد شجعت السنة النبوية على حق العمل وحق التملك، ليحقق للإنسان استقلاليته ومواطنته الاقتصادية، وليحرره من تبعية الغير ، وإن الرسول صل الله عليه وسلم يريد من الناس أن تسود بينهم علاقة من الندية لا التبعية، لان الأولى تخلق نوعا من التعاون والتكافل المبني على الاحترام، أما التبعية فتتأسس من احتياجات الناس على تقسيم من الأحرار والعبيد.

ولذا حث الرسول صل الله عليه وسلم على الاعتماد على الذات، وقدر الذي يأكل من عمل يده، لما يترتب عليه من استقلالية شخصية، وحفظ الكرامة وقيمة المواطنة(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده)، والرسول صل الله عليه وسلم وهو يقدر قيمة الفرد الإنسان المواطن، يستعجب من أناس

[13]- ابن حجر أحمد بن على فتح الباري ،" شرح البخاري"، دار المعرفة ، بيروت ، ص 128.

يفضلون النوم والكسل، على إتيان أعمال قد تكون محتقرة وغير مرغوبة اجتماعيا (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرا من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه)[14]

جـ- التقدير القيمي و الأخلاقي للإنسان

في حماية قدسية حياة الإنسان، نظم الإسلام العديد من القيم والأخلاق، التي تصون حياته وتحفظ حقوقه، وهذه القيم تأتي لتقيم التوازن بين الحقوق والواجبات، لان لكل فرد حقوق من زاوية، هي واجبات من زاوية أخرى لأخيه الإنسان، ولذا يوجه النبي صل الله عليه وسلم المسلم بضبط لسانه عن الاعتداء على الاخرين (المسلم هو من يسلم الناس من لسانه و يده)، كما لا يعتبر مواطن صالحا من لا يؤمن بالمساواة مع أخيه المواطن، وإن الأخوة والمحبة للآخر، هي قيم تدعم ترسيخ المواطنة المتساوية.

د- المواطنة في وثيقة المدينة

تمثل صحيفة المدينة أو دستور المدينة كما يحلو للبعض تسميتها النموذج العملي الوحيد للنبي، و الذي جاء مقننا على شكل مواد قابلة للتطبيق، ولها قابلية المرجعية القانونية، كونها مثلت عقدا سياسيا وأجتماعيا، صيغ بروح المبادئ الكلية النصية في القرآن الكريم، وتوافقت عليها معظم أطراف القوى الفاعلة داخل المجتمع المدني المتعدد (قبلي، ديني ، سياسي).

لقد حددت وثيقة المدينة المعالم الرئيسية " لكيفية التعامل و التعاقد والشراكة والتكافل والتعارف والتوافق مع الآخر "[15].

وكان فحوى الصحيفة و مضمونها (60) مادة، ولا يهم هنا الجدل حول التسمية الإسلامية القديمة للصحيفة بالكتاب أو الجديدة بالدستور، بالقدر ما يهم النظر لمضامين الوثيقة وهل كونها متوافقة أو متعارضة مع حقوق المواطنة بشكلها المعاصر .

[14]- ابن حجر أحمد بن على فتح الباري ،" المرجع السابق" ، ص 306.
[15]- عمارة محمد ،" الإسلام و حقوق الإنسان (ضرورات لا حقوق)" ، الطبعة الأولى ، 2005 ، دار السلام للطباعة و النشر ، ص 179.

وتكمن أهمية الوثيقة في محاولة تحويل الناس (بشكل قانوني) القاطنين في المدينة، من رعايا إلى مواطنين، من إطار القبيلة والقبلية إلى رحاب الدولة والأمة، لم يلغِ الرسول صل الله عليه وسلم القبيلة بل عدل دورها وسحب بساط التحكم من يديها، فبعد أن كانت " القبيلة هي الأمة و الدولة، غدة لبنة في كيان الدولة الجديدة و الأمة الوليدة [16].

وبعد أن كان الفرد مغيبا تماما في القبيلة، وكان خطؤه يحتمل مسؤولية عشيرته، وفقا لقاعدة الثأر العربية الشهيرة، جاءت الوثيقة لتبرز ذاتية الفرد الذي يتحمل مسؤولية أفعاله خيرا وشرا {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[17].فأكدت الوثيقة شخصية العقوبة أي أن المواطن يتحمل الآثار القانونية للجريمة التي يرتكبها، وليس أبرياء آخرون من عشيرته أو سلالته، ورد في الوثيقة " إلا من ظلم أو أثم فانه لا يوقع إلا نفسه و لا يأثم امرؤ بحليفه.

أكدت الصحيفة على اعتبار المجتمع اليهودي جزءا من المجتمع السياسي أي جزءا من الجماعة السياسية، تلتزم بحكم رئيس الدولة لا باعتباره نبي، بل باعتباره مشروعيته السياسية المستمد من الاتفاق نفسه إن قبول الوثيقة من قبل اليهود لم يفض إلى اعتقادهم بنبوة مُحَمَّد بل بقبول مشروعيته السياسية كقائد وكحاكم لتلك الدولة[18].

لقد كان أساس المواطنة عند الرسول صل الله عليه وسلم ، هو الانتماء إلى الوطن " المدينة" فمن أراد الانتماء " أن يكون مواطنا في المجتمع المدينة فعليه أن يهاجر إليها، ولقد وجدت رابطتين أساسيتين في المدينة هي رابطة الدين(الإيمان) ورابطة الوطن (الولاء لنظام الدولة)[19].

[16]- عمارة محمد ،" المرجع السابق " ، ص 181.
[17]- سورة فاطر الآية 18.
[18]- عمارة محمد ،" المرجع السابق " ، ص 180.
[19]- عمارة محمد ،" المرجع السابق " ، ص 180.

3 . الأسس العامة للمواطنة في الإسلام

يقوم مفهوم المواطنة في الإسلام على ثلاثة أسس هي: المساواة والحرية والعدل

3. 1. المساواة

المساواة في الإسلام تنفرد بسمات خاصة من حيث العمق والملاءمة وكمال الغاية المستمدة من مصادر التشريع الإسلامية، ولذا فقد جاءت في صورتها التشريعية مختلفة عما أفرزه الفكر الغربي المعاصر . فالمساواة في الإسلام واجب شرعي منذ نزول بعثة الرسول، في حين أن الفكر الغربي المعاصر وبعد 24 قرنا (يوصي) في المواثيق الدولية الصادرة عن الهيئات العالمية بإقرار مبدأ المساواة[20] .

يقوم مبدأ المساواة في الإسلام على قاعدتين أساسيتين هما العمومية والإطلاق فلقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنظور إنساني عالمي للحق في المساواة المطلقة بين البشر غير مقصورة على دين أو جنس أو لون أو طبقة من الطبقات، وفي ذلك يقول الحق سبحانه و تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[21]

في هذه الآية –كما في كثير من الآيات القرآنية –جاء الخطاب عاما لبني الإنسان في تأكيد واضح للحقوق والقيم التي تنظم حياة البشرية وتقنين مسالكها و منها المساواة التي تعد منطلقا أساسيا وقاعدة شرطية لممارسة باقي الحقوق واستقامتها والالتزام بكل الواجبات.

وفي حجة الوداع يوضح رسول الله صل الله عليه وسلم ذلك تفصيلا إذ يقول (يا أيها الناس إن ربكم واحد كلكم لآدم و آدم من تراب، أن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي ولعجمي على

[20]- عثمان العامر ،" المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي" ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول ، 2003 ، ص 241.
[21]- سورة الحجرات الآية 13

عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب)[22].

3. 2. الحرية

لقد قام الإسلام على أساس الحرية بحيث جاء التنظيم الإسلامي مغلفا بروح السماحة والاختيارية المطلقة القائمة على عدم الإكراه

أ– حرية الاعتقاد

أن يختار الإنسان عقيدته دون أي إكراه أو قسر فهذا هو ما ضمنته الشريعة الإسلامية للإنسان، ويأتي هذا الضمان كثمرة لمسؤوليته، وبالتالي منع الإسلام كل وسائل الإكراه، ووضع الضمانات، وحد الحدود من أجل حرية الاعتقاد [23].

في بدء التنزيل شرع للرسول في سورة يونس، خطاب الحرية حرية العقيدة {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[24] وقد تأكدت حرية الاعتقاد كذلك في سورة البقرة {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[25]

وكان الإسلام قد أسس نظريته في الحرية الدينية على ركنين: عدم الإكراه على الدخول إلى الإسلام، وتعليق ذلك على المشيئة الإلهية في الهداية إلى الإيمان، فإنه قد تميز في دعوته إلى الشريعة الإسلامية واعتناق الدين القائم على مخاطبة العقل أداة الفكر والتدبير و ليس على أساس من الأتباع والتقليد المتواتر وذلك في إطار الحكمة والموعظة الحسنة الموصلة إلى العقيدة السليمة والحق والصواب[26] وفي ذلك يقول جل في علاه

[22]- عثمان العامر ،" المرجع السابق" ، ص 241.
[23]- د. خضر خضر ،" مدخل الى الحريات العامة و حقوق الانسان "، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2011.ص 346.
[24]- سورة يونس الآية 99.
[25]- سورة البقرة الآية 256.
[26]- د. خضر خضر ،" المرجع السابق" ص 346

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[27].

ومن الآيات السابقة وغيرها من الأحاديث النبوية وكذا العديد من الوقائع التاريخ الإسلامي وأحداثه يتضح أن معالم وأسس الحرية الدينية ترتكز على مبادئ ثلاثة هي:

مبدأ عدم الإكراه أو الإجبار على اعتناق الدين الإسلامي، ومبدأ احترام الديانات السماوية الأخرى وكفالة حرية إقامة الشعائر الدينية للكتابيين.

ب- حرية التعبير

من البديهي القول إن كفالة الله في القرآن الكريم للناس سواسية في حرية الاعتقاد تقتضي تقرير حرية الرأي والتعبير، لان حرية الاعتقاد لن تتم إلا بإطلاق العقل حرا طليقا، وللتفكير والتدبر في الكون والإنسان والأديان ليصل الإنسان " برأيه" و قناعته إلى الإيمان أو الكفر أو حتى الحيادية .

يقول علال الفارسي إن " حرية التفكير في الإسلام لها طابع واحد امتازت به طابع إنساني لا تتحقق آدمية الإنسان بدونه ، وهو طابع الفكر الحر وعدم قبول أي شئ بغير بحث وتجربة ونظر"[28].

وتبرز حرية التعبير من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }[29] .

وكيف سيكون هذا الأمر والنهي إلا بحرية الرأي والتعبير وإعمال العقل .

3. 3. العدل

وإذا كانت الحرية المقررة نصوصها في كتاب الله وهي أساس الأول للمواطنة، وكانت المساواة هي الركن الثاني المصاحب الضامن لتطبيقات الحريات في الإسلام، فان العدل هو الضامن القانوني والقضائي اللازم لضمان عدم ضياع الحرية والمساواة بين يد حكام الاستبداد ومشائخ الدين ورجال الإقطاع[30].

---

[27]- سورة النحل الآية 125

[28]- فتاح عرفان عبد الحميد ،" الحرية في العقل الكلامي و الفلسفي الإسلامي ، مجلة المعرفة ، العدد الرابع ، ص 78.

[29]- سورة آل عمران الآية 110.

إن الله أرسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض.

إن العدل يرتبط في القرآن بالحق، والحق هو الله " العدل يبلغ في ميزان الله أن يكون قرين التوحيد، والظلم في شريعة الله يبلغ أن يكون قرين الشرك، لذلك كان الظلم مسقطا كل شرعية لان الله هو العدل {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[31] .

إن العدل في القرآن يقوم على أساس التسوية بين الناس في المعاملة، وعدم المفاضلة والتمييز بينهم، تبعا لهوى أو مصلحة أو لأسباب لا تستوجب المفاضلة[32].

وقد اقر الله تعالى في القرآن الكريم العدل بين الناس {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[33].

إن المفهوم السياسي القرآني للعدل هو أن تكون علاقة الدولة بمواطنيها علاقة عادلة ومباشرة، بعيده عن الانحياز لفئة على حساب أخرى، أو لمنطقة على حساب أخرى"، لان الانحياز هو الذي يقود إلى اللامواطنة[34].

4. الخاتمة :

إن المبادئ العامة للمواطنة الحديثة (الحرية و المساواة و العدالة و المشاركة) موجودة بنسقها العام في الإسلام وحقوق المواطنة في الإسلام، تكتسب شرعيتها من كون أن الله مقرر الحقوق وأن حقوق الناس هي حقوق الله وهي أيضا واجبات التنازل عنها إثم، كون الجهاد ما شرع في الإسلام إلا لأجل حمايتها، وتتعمق هذه الشرعية بكون الإنسان خليفة الله في الأرض وكون الإنسان غاية والدين وسيلة.

ولذلك على الدول الإسلامية الاستناد إلى الشريعة الإسلامية في تكريس روح المواطنة عن طريق النص على أسس المواطنة الإسلامية في دساتيرها وتشريعاتها الوطنية.

---

[30]- حسن بسيوني ، " الدولة و نظام الحكم في الإسلام" ، الطبعة الأولى ، 1985 ، علم الكتاب ، القاهرة ، ص 84.
[31]- سورة الأنعام الآية 115.
[32]- حسن بسيوني ، " المرجع السابق" ، ص 84.
[33]- سورة النساء الآية 58.
[34]- حسن بسيوني ، " المرجع السابق"،ص 84

5. المراجع:

1- د. مُحَمَّد خليل أبو دف ،" تربية المواطنة من المنظور الاسلامي "، مقال منشور على الموقع : www.pdffactory.com ، 2004

2- د. عثمان بن صالح العامر ،" المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي"، مجلة جامعة دمشق ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول ،2003 ،

3- جمال البنا " الإسلام كما تقدمه دعوة الاحياء الإسلامي" ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة .

4- ابن حجر أحمد بن على فتح الباري ،" شرح البخاري"، دار المعرفة ، بيروت ،

عمارة مُحَمَّد ،" الإسلام و حقوق الإنسان (ضرورات لا حقوق)" ، الطبعة الأولى ، 2005 ، دار السلام للطباعة و النشر

5- د. خضر خضر ،" مدخل الى الحريات العامة و حقوق الانسان "، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2011

6- فتاح عرفان عبد الحميد ،" الحرية في العقل الكلامي و الفلسفي الإسلامي ، مجلة المعرفة ، العدد الرابع

7- حسن بسيوني ، " الدولة و نظام الحكم في الإسلام" ، الطبعة الأولى ، 1985 ، علم الكتاب ، القاهرة.